عون الولي الحميد بشرح كتاب التوحيد
للشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى

الشارح..
الشيخ عصام بن عبد المنعم المري حفظه الله

59- باب ما جاء في منكري القدر

وقال ابن عمر رضي الله عنه: والذي نفس ابن عمر بيده لو كان لأحدهم مثل أحد ذهبا ثم أنفقه في سبيل الله ما قبله الله منه حتى يؤمن بالقدر . ثم استدل بقول النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: «الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره» رواه مسلم .

وعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه أنه قال لابنه : يا بني إنك لن تجد طعم الإيمان حتى تعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك . سمعت رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم يقول: «إن أول ما خلق الله القلم ، فقال له: اكتب. فقال: رب ، وماذا أكتب ؟ قال : اكتب مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة» يا بني سمعت رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم يقول: «من مات على غير هذا فليس مني».

وفي رواية لأحمد: «إن أول ما خلق الله تعالى القلم، فقال له: اكتب فجرى في تلك الساعة بما هو كائن إلى يوم القيامة».

وفي رواية لابن وهب قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: «فمن لم يؤمن بالقدر خيره وشره أحرقه الله بالنار».

وفي المسند والسنن عن ابن الديلمي قال: أتيت أبي بن كعب فقلت في نفسي شيء من القدر، فحدثني بشيء لعل الله يذهبه من قلبي . فقال: لو أنفقت مثل أحد ذهبا ما قبله الله منك حتى تؤمن بالقدر، وتعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك، ولو مت على غير هذا لكنت من أهل النار . قال: فأتيت عبد الله بن مسعود وحذيفة بن اليمان وزيد بن ثابت، فكلهم حدثني بمثل ذلك عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم. حديث صحيح. رواه الحاكم في صحيحه.

فيه مسائل:

الأولى: بيان كيفية الإيمان بالقدر .

الثانية: بيان فرض الإيمان .

الثالثة: إحباط عمل من لم يؤمن به.

الرابعة: الإخبار أن أحدا لا يجد طعم الإيمان حتى يؤمن به.

الخامسة: ذكر أول ما خلق الله.
السادسة: أنه جرى بالمقادير في تلك الساعة إلى قيام الساعة.
السابعة: براءته صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم ممن لم يؤمن به.
الثامنة: عادة السلف في إزالة الشبهة بسؤال العلماء.
التاسعة: أن العلماء أجابوه بما يزيل شبهته، وذلك أنهم نسبوا الكلام إلى رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم فقط.

الشرح:

أهمية هذا المبحث تكمن في أن الإيمان بالقدر فرض واجب وأنه ركن من أركان الإيمان ودليله حديث جبريل لما سأل النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم عن الإيمان فأخبره أن الإيمان هو الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت والقدر خيره وشره. فالإيمان بالقدر هو الركن السادس من أركان الإيمان.
وأدلته كثيرة في الكتاب وفي السنة قال تعالى (إنا كل شيء خلقناه بقدر) وقال (وكان أمر الله قدرا مقدورا) والإنسان في هذه الحياة إذا اختل عنده الإيمان بالقدر اختلت حياته وحصل عنده الاضطراب والحيرة والجزع الدائم والهلع المستمر . وقد تقرر أن من أنواع الصبر الصبر على أقدار الله المؤلمة لأن الإنسان لا بد له في هذه الحياة من ألم وابتلاء وهذه المصائب وهذه الابتلاءات الشر فيها شر نسبي يعني شرا بالنسبة لمن حصلت له والله جل وعلا لم يخلق شرا محضا وهذه كلمة مهمة فربنا جل وعلا بحكمته العظيمة لم يخلق شرا محضا بل الشيء الذي أنت تراه شرا قد يكون شرا لك وخيرا لغيرك هذا معنى قولنا أن الشر شر نسبي ولشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى كلام طويل فيه يراجعه من أراد .
الإيمان بالقدر يتعلق بتوحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات والذي يخل بالإيمان بالقدر ويحصل عنده نقص في هذا الركن بالتالي يخل بتوحيد الربوبية وبتوحيد الأسماء والصفات وأيضا له تعلق بتوحيد العبادة.

يخل بتوحيد الربوبية لأن من توحيد الربوبية الإيمان بأن الله جل وعلا هو المتصرف في ملكه وهو الخالق المدبر المتصرف في ملكه سبحانه

وتعالى والذين تكلموا في القدر ونفوا القدر ونفوا قدرة الله جل وعلا على أعمال العباد وأن العبد يفعل بمشيئته وقدرته وليس لله جل وعلا قدرة عليه ولا مشيئة لفعله سلبوا من توحيد الربوبية صفة الخلق والتصرف وأيضا طعنوا في أسماء الله جل وعلا وصفاته. فمن صفاته العلم ومن صفاته القدرة والمشيئة.

فالقدرية أو المعتزلة جعلوا العبد مستقلا في خلق أفعاله يفعلها كما يشاء هو لا دخل لمشيئة الله جل وعلا في فعله ولا في قدرته. والغلاة منهم من القدرية نفوا علم الله جل وعلا السابق. فالذي يخل بهذا الركن وهو الإيمان بالقدر فإنه بالتالي يخل بتوحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات لما سبق وله تعلق أيضا بتوحيد العبادة لأن الله جل وعلا هو خالق لأفعال العباد .

ومراتب القدر أربع :

المرتبة الأولى: يجب الإيمان بعلم الله جل وعلا الشامل المحيط بكل شيء كان وسيكون وهو جل وعلا يعلم ما لم يكن لو كان كيف يكون .

المرتبة الثانية: الإيمان بالكتابة وأن الله جل وعلا كتب كل شيء إلى أن تقوم الساعة مما يكون في خلقه سبحانه وتعالى قبل خلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة

المرتبة الثالثة: الإيمان بمشيئة الله سبحانه وتعالى (إنما أمره إذا أراد شيئا أن يكون له كن فيكون)

المرتبة الرابعة: الإيمان بخلق الله جل وعلا وإيجاده للكائنات وإيجاده للأشياء الأخرى (الله خالق كل شيء) .

وبعض أهل العلم نظمها في بيت من الشعر قال فيه :

علم كتابة مولانا مشيئته وخلقه وهو إيجاد وتكوين

هذا البيت جمع الأربع مراتب التي يجب الإيمان بها في باب القدر .

هذا مذهب أهل السنة والجماعة وقد ظهر مخالفون في هذه المسألة الواضحة في الكتاب والسنة في أواخر زمن الصحابة رضي الله عنهم وأرضاهم وممن جرى ذكره في كتب السنة معبد الجهني وقد روى مسلم في أول كتاب الإيمان في صحيحه حديثه عن يحيى بن يعمر وحميد بن عبد الرحمن الحميري أنهما أتيا حاجين أو معتمرين وأرادا أن يسألا أحدا من

أصحاب النبي ﷺ فاتفق لهما ابن عمر وهو داخل إلى باب المسجد فأخذاه من جانبيه اكتنفاه وقالا: إنه ظهر قبلنا أناس يقولون بأن الأمر أنف ظهر في العراق ـ في الكوفة ـ أناس ينكرون القدر يقولون بأن الأمر أنف يعني الله جل وعلا لا يعلم الأشياء إلا بعد وقوعها وأنه لم يقدرها ولم يكتبها قالا هذا الكلام لابن عمر وقالا إن هؤلاء يتقفرون العلم يعني يتعمقون فيما لم يرخص لهم فيه فكان رد ابن عمر ما ذكره المؤلف في أول دليل في هذا الباب قال لهم ابن عمر: أخبرهم أني منهم بريء وأنهم مني برآء والله لو أنفق أحدهم مثل أحد ذهبا ما قبله الله منه حتى يؤمن بالقدر خيره وشره وذكر راويا عن والده عمر بن الخطاب حديث جبريل في الإيمان بالقدر

ومعبد الجهني هذا قيل أنه أخذ هذا المذهب الخبيث من رجل اسمه سوسن أو سنسويه كان نصرانيا فأسلم ثم تنصر والتقف هذا المذهب الخبيث من معبد الجهني رجل اسمه غيلان الدمشقي. وذكر اللالكائي وغيره المناظرات التي حصلت بين أهل السنة وبين هؤلاء .

هذا المذهب الخبيث بعد ذلك انتقل إلى المعتزلة والقدرية قسمان قدرية نفاة و قدرية غلاة. فالقدرية الغلاة الذين غالوا في إثبات القدر وقالوا بأن العبد ليس له قدرة وليس له إرادة وليس له مشيئة بل هو كالريشة في مهب الريح وأرجعوا كل أفعال العبد إلى الله جل وعلا وسلبوا العبد الكسب والاختيار والقدرة فهؤلاء هم الجبرية وإذا شئت قلت الجبرية الجهمية

القسم الثاني القدرية النفاة وهم على قسمين: الأول وهم نفاة العلم وهؤلاء انقرضوا. والقسم الثاني: الذين يثبتون العلم ولكن ينكرون المشيئة والقدرة ويقولون بأن العبد مستقل بفعله تماما والله جل وعلا ليس له قدرة على فعله واختلفوا على قولين بعضهم يقول الخير والشر وبعضهم يقول الشر فقط وهؤلاء الذين سموا مجوس هذه الأمة وجاءت أحاديث في ذلك أن القدرية مجوس هذه الأمة لكن غالب الأحاديث المرفوعة لا يصح كما ذكر ذلك ابن أبي العز في شرحه على آخر العقيدة الطحاوية مع أن بعض أهل العلم حسن بعضها كالشيخ الألباني رحمه الله تعالى لكن على كل حال هذا كلام ابن أبي العز في آخر شرح الطحاوية أن غالب الأحاديث المرفوعة في ذم القدرية لا يصح وإنما صح منها عدة موقوفات .

وشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى يقول:

ويدعى خصوم الله يوم معادهم إلى النار طرا معشر القدرية

يوم معادهم: يعني يوم القيامة يدعى خصوم الله الذين هم القدرية لأنهم جعلوا مع الله جل وعلا خالقِين المجوس جعلوا خالقين خالق للظلمة وخالق للنور مع خلاف بينهم في أيهما أولى ولكن هؤلاء القدرية جعلوا كل حي وإن شئنا قلنا كل حيوان خالقا لفعله مستقلا بفعله عن قدرة الرب جل وعلا ومشيئته لذلك يقول شيخ الإسلام :

ويدعى خصوم الله يوم معادهم إلى النار طرا معشر القدرية

سواء نفوه أو سعوا ليخاصموا به الله أو ماروا به في الشريعة

سواء نفوه: وهم القدرية النفاة

أو سعوا ليخاصموا به الله : الذين هم القدرية الإبليسية الذين ادعوا التناقض بين القدر وبين الأمر والنهي يعني الشريعة .

أو ماروا به في الشريعة: يعني جادلوا به في الشريعة كالذين قالوا (لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شيء) وهذه القدرية المشركية.

إذا عندنا القدرية الإبليسية والقدرية المشركية والقدرية النفاة.

وقد قال ابن عباس أنه قال: الإيمان بالقدر نظام التوحيد فمن وحد الله وآمن بالقدر تم توحيده ومن وحد الله ولم يؤمن بالقدر نقض تكذيبه توحيده.

وقال علي رضي الله عنه وأرضاه : القدر سر الله فلا تكشفه يعني لا تبحث عنه لأن هذا سر مكتوم لا يعرفه أحد غير الله جل وعلا لماذا أفقر وأغنى لماذا أمات وأحيا لماذا أعز وأذل الحكمة مغيبة عنا وليس لنا أن نبحث عنها إلا ما كشف لنا منها نؤمن به وما غيب عنا فالأصل فيه التسليم والاستسلام

تعريف القدر من ناحية اللغة: القدر هو تهيئة الشيء أو الإحاطة بمقداره قدرت الشيء أقدره قدرا أحطت بمقداره وإن شئت بالنسبة

للتعريف الشرعي تعاريف متعددة لأهل العلم منهم من يجمع مراتب القدر الأربع ويجعلها تعريفا للقدر يقولون علم الله جل وعلا بالكائنات وكتابته لها ومشيئته في إيجادها وخلقه لها ومنهم من يقول تقدير الله جل وعلا للكائنات ويعرفه شيخ الإسلام : علم الله جل وعلا وكتابته المطابقة لمشيئته وخلقه

قال: باب ما جاء في منكري القدر يعني ما جاء من الوعيد الشديد في منكري القدر وقد مر قصة من أنكر القدر وشيء مما يتعلق بتاريخهم.

وذكر حديث ابن عمر الذي فيه: « والذي نفس ابن عمر بيده » هذا قسم بالله جل وعلا لأن الذي نفس ابن عمر بيده هو الله جل وعلا « لو كان لأحدهم مثل أحد ذهبا ثم أنفقه في سبيل الله ما قبله الله منه » مثل أحد ذهبا: لو كان أكثر من أحد أو أقل الأقل بطريق الأولى والأكثر كذلك. لأن هذا من باب التمثيل وليس من باب التحديد يعني لو قال أنا سآتي بمثلي أحد أو ثلاثة أمثاله نفس الجواب هذا من باب التمثيل وليس من باب التحديد

قوله « ما قبله الله منه » هذا يستلزم كفر من أنكر أو من لم يؤمن بالقدر لقوله « ما قبله الله منه » لأن الذين لا يقبل الله جل وعلا منهم هم الكفار « حتى يؤمن بالقدر »

« ثم استدل بقول النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم » وهذا أيضا فيه فائدة أنك إذا أتاك صاحب شبهة وأعطيته الجواب فالأولى أن تؤكد هذا الجواب وتقوي هذا الجواب بذكر الدليل من الكتاب أو من السنة حتى يطمئن قلب المستفتي أو المستفسر بذكر الدليل من الكتاب أو من السنة . فابن عمر هنا بعدما ذكر الرد على هؤلاء أتى بالدليل الذي هو من رواية أبيه عمر بن الخطاب في سؤال جبريل عن مسائل الإسلام والإيمان والإحسان فهذا من فوائد الحديث أن المستفتي عندما يستفتيك بعدما تفتيه بأصل المسألة أو بالجواب تؤيد ذلك بالدليل حتى يطمئن قلب ذلك المستفتي

ثم ذكر الدليل الثاني «عن عبادة بن الصامت أنه قال لابنه» واسم ابنه الوليد وهذه وصية أوصاها عبادة لابنه في مرض موته يعني عندما حضره الموت قال: ادعوا لي الوليد وأجلسوني كما جاء ذلك في بعض الروايات فأجلسوه ودعوا له ابنه الوليد بن عبادة بن الصامت فأوصاه بهذه الوصية العظيمة التي بين أيدينا في الإيمان بالقدر.

وهذا الحديث يرويه عن عبادة أبو حفصة الشامي واسمه حبيش بن شريح الحبشي «عن عبادة بن الصامت أنه قال لابنه: يا بني» يا بني: وهذه كلمة يؤخذ منها ملاطفة الآباء للأبناء في مناصحتهم . ملاطفة الأب للابن وأيضا من طريق الأولى لغيره في المناصحة «يا بني» ناداه بلفظ البنوة تطييبا لقلبه وتلطيفا له وتمهيدا لما سيقوله ملاطفة الآباء للأبناء في المناصحة لأن بعض الآباء يغلظ في النصيحة ، وبعض الآباء يتلفظ بألفاظ بذيئة ككلمة حمار أو كلمة حيوان ونحو ذلك عندما يريد أن يوجه النصيحة لابنه أو لأبنائه وهذا من الخطأ في النصح لأنه بهذه الألفاظ يسد الباب ابتداء أمام النصيحة التي سينصحها يعني إذا كان يريد النصيحة لتنفذ إلى قلب ابنه فإنه بهذا يضع سدا وجدارا منيعا أمام النصيحة عندما يتلفظ لابنه بهذه الألفاظ التي لا تجوز شرعا الله جل وعلا يقول (ولقد كرمنا بني آدم) فلا يجوز أن ينادى الابن بالحيوان أو بالبهيمة أو بالنعال أو نحو ذلك من الألفاظ السائرة بين الناس فهنا تجد عبادة مع ابنه يقول له يا بني.

قال الوليد بن عبادة في الرواية التي رواها ابن بطة العكبري في كتابه الإبانة في المجلد الثالث صفحة٤٧٧: دخلت على عبادة وأنا أتخايل فيه الموت يعني كأنه يتخيل أن الموت بدأ يدب فيه فقلت: يا أبا الوليد أوصني واجتهد. يعني حتى الولد يطلب من والده الوصية يا أبا الوليد أوصني واجتهد قال: فأجلسوني يعني استجاب لهذا المطلب وهذا أيضا من ذكاء هذا الابن أنه قبل أن يفارق والده من هذه الدنيا يريد أن يأخذ منه خلاصة تجاربه ودرة من درر النصح فأوصاه بهذه الدرة العظيمة.

فقال له « يا بني إنك لن تجد طعم الإيمان » وفي رواية أبي داود التي صححنا عليها هذا الحديث قال: طعم حقيقة الإيمان إذا هذا مفاده بأن للإيمان طعما وحلاوة «ذاق طعم الإيمان من رضي بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد نبيا ورسولا» «ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان» إذا للإيمان طعم وللإيمان حلاوة وهذه الحلاوة يجدها الإنسان إذا قام بهذه الأشياء المذكورات في الأحاديث « ذاق طعم الإيمان من رضي بالله ربا وبالإسلام دينا » لذلك يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى : إن في الدنيا جنة من لم يدخلها لم يدخل جنة الآخرة قيل له ما هذه الجنة؟ قال: الأنس بالله والشوق إلى لقائه فهذه جنة عظيمة في الدنيا عندما يعمر قلب المؤمن أو المسلم بالأنس بالله ومحبته ومحبة قربه والشوق إلى لقائه هذه نعمة في هذه الدنيا لا تعادلها نعمة لذلك الحسن البصري من كلماته

السائرة: لو علم الملوك وأبناء الملوك ما نحن فيه لجالدونا عليه بالسيوف يعني لو يعلم الملوك والأمراء والسلاطين الذين حاولوا أن يحصلوا على السعادة والراحة والطمأنينة بأموالهم وجنودهم لو علموا ما نحن فيه من السعادة بالإيمان والطمأنينة بالإيمان لجالدونا عليه بالسيوف يعني لقاتلونا عليه بالسيوف لأن السعادة والطمأنينة لا تحصل بالمال ولا تحصل بكثرة الوظائف أو بكثرة الضياع أو بكثرة الأولاد إلى آخره وإنما تحصل الطمأنينة بالإيمان والأنس بالله جل وعلا ومحبة قربه والشوق إلى لقائه ونحو ذلك

فيقول: « يا بني إنك لن تجد طعم الإيمان حتى تعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك » هذا من الإيمان بالقدر تعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك وهذا يدخل في مرتبة الكتابة من الإيمان بالقدر أن « تعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك » فلو أن الإنسان اعتقد هذا واستقر في قلبه هذا الاعتقاد سيقبل على الأسباب ويفعل الأسباب بصدر منشرح وقلب منشرح ولن يتأخر أو يجزع أو يندب حظه بل سيتوكل على الله جل وعلا ويجعل توكله على مولاه ويقدم على عمله إذا علم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه .

قوله : « سمعت رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم يقول: «إن أول ما خلق الله القلم» » هذا الاستدلال أيضا من عبادة لابنه يجري على القاعدة التي سبقت في استدلال ابن عمر بالحديث ذكرنا أنه أجابه عن طلبه ثم استدل له بما يرتاح له قلبه وتطمئن له نفسه يذكر في ذلك الدليل الشرعي المرفوع إلى النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم على القاعدة التي سبقت أن من كان يكلم الناس فالأولى أن يسوق لهم من الأدلة ما تطمئن به نفوسهم وترتاح له صدورهم لأن النفوس ترتاح للوحي النفوس تطمئن بالوحي. قال تعالى (قل إنما أنذركم بالوحي) فالنفوس تطمئن وتستقر إذا سمعت الوحي.

قال: « سمعت رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم يقول: «إن أول ما خلق الله القلم، فقال له: اكتب » أول ما خلق الله القلم. وهذه مسألة خلافية هل العرش سابق أم القلم والراجح أن العرش سابق لخلق القلم لأنه في حديث عبد الله بن عمرو بن العاص كتب الله جل وعلا مقادير المخلوقات قبل خلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة وكان عرشه على الماء ولأهل العلم في هذا الحديث أقوال منها أول ما خلق الله القلم يعني من هذا العالم.

أو تكون أول بمعنى حين أي حين خلق الله القلم قال له اكتب وابن القيم نظم هذا في أبيات قال:

والناس مختلفون في القلم الذي كتب القضاء به من الديان
هل كان قبل العرش أو هو بعده قولان عند أبي العلا الهمداني
والحق أن العرش قبل لأنه عند الكتابة كان ذا أركان

كان ذا أركان: يعني كان موجودا وكان عرشه على الماء والشاهد من الحديث قوله « فقال له: اكتب. فقال: رب، وماذا أكتب؟ قال: اكتب » ربنا جل وعلا يخاطب القلم ولسائل أن يقول: هل القلم يفهم وهل القلم يستجيب؟ فنقول بأن الله جل وعلا هو العليم القدير وهو الذي قال للنار (قلنا يا نار كوني بردا وسلاما على إبراهيم) فاستجابت لأمره جل وعلا وكانت بردا وقال (يا جبال أوبي معه والطير وألنا له الحديد) فلا مانع أن يجعل فيها قدرة على الاستجابة وإنفاذ الأمر قال في السماوات والأرض (قالتا أتينا طائعين) وحديث حنين الجذع وقصة الحجر الذي كان يسلم على النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم في مكة إلى آخره

« فقال: رب، وماذا أكتب؟» في هذا فائدة أنه لا بأس من الاستفسار والاستبانة عند وجود الإشكال يعني عندما تتكلم مع أحد العلماء أو المشايخ وعندك إشكال في دليل أو لم تفهم وجه الدليل أو الشاهد فلا بأس أن تستفسر وليس في هذا اعتراض طالما أنت تستفسر من باب التعلم وليس من باب التنطع والتعنت أما السؤال فيمنع إذا كان تعنتا أو تكلفا

« قال: اكتب مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة»

قوله « يا بني سمعت رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم يقول: «من مات على غير هذا فليس مني» هذا لفظ أبي داود وهو حديث صحيح رواه أبو داود برقم٤٧٠٠ وله طرق أخرى عند الترمذي والطيالسي وابن أبي عاصم وله شاهد عند أحمد

قال المؤلف « وفي رواية لأحمد: «إن أول ما خلق الله تعالى القلم، فقال له: اكتب فجرى في تلك الساعة » فجرى في تلك الساعة إذا هذه زيادة أنه جرى في تلك الساعة التي أمر فيها بالكتابة «جرى في تلك الساعة بما هو كائن إلى يوم القيامة» وفي مسند أحمد في ٥/ ٣١٧ زيادة على ذلك قال: يا بني إن مت ولست على هذا دخلت النار وحسن الشيخ الأرناؤوط هذه الرواية في المسند

قال: « وفي رواية لابن وهب » وابن وهب هو عبد الله بن وهب المصري صاحب الإمام مالك وله كتاب القدر وكتاب القدر مطبوع .

فهذه الرواية موجودة في كتاب القدر وإسنادها عند ابن وهب قال ابن وهب: وأخبرني عمرو بن محمد أن سليمان بن مهران حدثه قال: قال عبادة بن الصامت وهناك انقطاع بين سليمان بن مهران الأعمش وعبادة بن الصامت بينهما حوالي ثلاثين عاما فهذا انقطاع في هذا الإسناد في سند ابن وهب

قال عبادة ابن الصامت: ادعوا لي ابني وهو يحتضر هذا الحديث في كتاب القدر لابن وهب برقم١٧

« وفي رواية لابن وهب قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: «فمن لم يؤمن بالقدر خيره وشره أحرقه الله بالنار » وهو شاهد لما ذكرناه في الروايات السابقة فهذه الروايات في الحقيقة يؤيد بعضها بعضا ويشهد بعضها لبعض

الدليل الأخير في هذا الباب قال: « وفي المسند » في المسند الجزء ١٨٢/٥ « والسنن » يعني سنن أبي داود برقم٤٦٧٩ وابن ماجة برقم٧٧ «عن ابن الديلمي» وابن الديلمي هو عبد الله بن فيروز الديلمي وهو ثقة من كبار التابعين منهم من ذكره في الصحابة وأبوه فيروز الديلمي الذي قتل الأسود العنسي المتنبئ الكذاب ونسب لجبل الديلم من بلاد فارس قال ابن الديلمي «أتيت أبي بن كعب فقلت في نفسي شيء من القدر » وهذا فيه فائدة أن الإنسان إذا أشكل عليه أمر في عقيدته أو في أمور معاشه أو في عبادته يسأل أهل العلم ولا يدع نفسه للحيرة والتخبط والاضطراب والقلق بل يسأل أهل العلم ويأتي من يثق فيهم من أهل العلم هكذا فعل الديلمي « قال: أتيت أبي بن كعب فقلت في نفسي شيء من القدر » عند ابن ماجة بلفظ «فخشيت أن يفسد علي ديني وأمري» فهو يخشى على اعتقاده أن يفسد

بسبب هذا التحير الذي حصل له في موضوع القدر « فحدثني بشيء لعل الله يذهبه من قلبي » يطلب العلاج وهكذا أهل العلم هم الذين بأيديهم علاج أمراض الناس القلبية والمعنوية وأيضا عندهم علاجات الأمراض البدنية لكن كلامنا في الأمراض المعنوية فهم أطباء القلوب في الحقيقة لأنهم ورثة الأنبياء وهم الذين يعالجون الناس بالوحي بالكتاب والسنة فهذا الوحي هو الشفاء (يا أيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين. قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون)

قوله : « أتيت أبي بن كعب فقلت : في نفسي شيء من القدر، فحدثني بشيء لعل الله يذهبه من قلبي. فقال » المؤلف هنا اختصر كلمة فيها قال له : لو أن الله عذب أهل سماواته وأهل أرضه عذبهم وهو غير ظالم لهم والله جل وعلا لا يظلم أحدا ولو رحمهم كانت رحمته خيرا لهم من أعمالهم (ورحمت ربك خير مما يجمعون) «لن يدخل أحد منكم الجنة بعمله» قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: «ولا أنا إلا أن يتغمدني الله جل وعلا برحمة منه وفضل» ولو رحمهم كانت رحمته خيرا لهم من أعمالهم هذه اللفظة المؤلف اختصرها من الحديث ثم قال: « لو أنفقت مثل أحد ذهبا » في سبيل الله هذا تمثيل وليس تحديدا كما سبق « ما قبله الله منك حتى تؤمن بالقدر » إذا هذا يدلنا على خطورة هذا الأمر وعلى أهمية هذا الأمر لأن كثيرا من الناس أو بعض الناس يخالجهم أحيانا اضطراب في مسألة القدر ويحصل عندهم نوع اعتراض كما سبق في باب ما جاء في لو وفي باب (يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية) وغير ذلك فينبغي للإنسان أن يقف مع نفسه إذا وجد في نفسه شيئا من القدر أو قلقا أو تحيرا أو غير ذلك ينبغي له أن يراجع نفسه وأن يقف مع نفسه وأن يأتي لمن يعلم أو لمن يثق فيهم من أهل العلم فيسألهم عن علاج ذلك كما فعل ذلك ابن الديلمي « لو أنفقت مثل أحد ذهبا ما قبله الله منك حتى تؤمن بالقدر، وتعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك » ووصية عبادة لابنه الوليد هي الوصية نفسها التي وصى بها أبي بن كعب عبد الله بن فيروز الديلمي وفيها أهمية الإيمان بالقدر وعاقبة ترك ذلك قال: « وتعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك، ولو مت على غير هذا لكنت من أهل النار » في رواية: لدخلت النار عند ابن ماجة زيادة: ولا عليك أن تأتي أخي عبد الله بن مسعود يعني فتسأله يعني هو سأل أبيا فهو يقول

له: اسأل غيري وهذا من فضل الصحابة رضي الله عنهم وأرضاهم أنهم يحترم بعضهم بعضا ويحيل بعضهم على بعض ولا يحقد بعضهم على بعض فيقول له : لو أردت أن تتأكد من صحة هذا اذهب إلى أخي عبد الله بن مسعود قال: فأتيت عبد الله بن مسعود فسألته فذكر لي مثل ما ذكر أبي وقال لي : ولا عليك أن تأتي حذيفة بن اليمان يعني ابن مسعود أيضا أحال على ثالث فأتيت حذيفة أيضا فسألته فقال مثل ما قال عبد الله وقال: ائت زيد بن ثابت فاسأله فأتيت زيد بن ثابت فسألته فقال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم يقول: «لو أن الله عذب أهل سماواته وأهل أرضه لعذبهم وهو غير ظالم لهم» الحديث

إذا هؤلاء الآن أربعة أضف إليهم عبادة بن الصامت صاروا خمسة « قال: فأتيت عبد الله بن مسعود وحذيفة ابن اليمان وزيد بن ثابت، فكلهم حدثني بمثل ذلك عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم » وسبق أن هذا فيه أن الإنسان يؤيد كلامه بالدليل المرفوع لكي يطمئن قلب المستفتي أو السائل .

قوله « حديث صحيح. رواه الحاكم في صحيحه » ذكرنا أنه في المسند وفي السنن وعزاه المؤلف للحاكم في صحيحه أي في مستدركه وهو ليس موجودا في النسخة التي بين أيدينا لكن وجدت أن البيهقي أيضا رواه من طريق الحاكم .

قوله : « فيه مسائل:الأولى بيان كيفية الإيمان بالقدر » وسبق بيان مراتب الإيمان بالقدر لكن هنا يريد أن يذكر قوله «ما أصابك لم يكن ليخطئك وما أخطأك لم يكن ليصيبك»

« الثانية: بيان فرض الإيمان به» وسبق بيان أن الإيمان بالقدر أحد أركان الإيمان الستة

« الثالثة: إحباط عمل من لم يؤمن به » لقوله في آخر الحديث: إن مت على غير هذا دخلت النار.

« الرابعة: الإخبار أن أحدا لا يجد طعم الإيمان حتى يؤمن به » وذكرنا من ثمرات الإيمان بالقدر طمأنينة النفس وطمأنينة القلب والأخذ بالأسباب وصدق الاعتماد على الله سبحانه وتعالى.

« الخامسة: ذكر أول ما خلق الله » وذكرنا الخلاف في ذلك

« السادسة: أنه جرى بالمقادير في تلك الساعة إلى قيام الساعة » واستفاد منه بعض أهل العلم أن القلم لم يكتب ما سيكون بعد يوم القيامة وإنما كتب ما هو كائن إلى يوم القيامة

« السابعة: براءته صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم ممن لم يؤمن به » أي براءته ممن لم يؤمن بالقدر.

« الثامنة: عادة السلف في إزالة الشبهة بسؤال العلماء » وسبق بيان أن الإنسان الذي تعرض له شبهة ينبغي عليه أن يسأل من يثق فيهم من أهل العلم ولا يترك نفسه عرضة للشبه وعرضة للحيرة وعرضة للتخبط .

« التاسعة: أن العلماء أجابوه بما يزيل شبهته ، وذلك أنهم نسبوا الكلام إلى رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم فقط » وقلنا أن هذه فيها فائدة عظيمة: وهي انشراح قلب السائل والمستفتي بسماع الوحي المبين وهذا كلام ليس على إطلاقه وإلا فإن الله جل وعلا قال عن الذين لا يؤمنون (إن الذين حقت عليهم كلمت ربك لا يؤمنون. ولو جاءتهم كل آية حتى يروا العذاب الأليم) يعني لو أن أحدا طبع على قلبه لو سقت إليه الآيات والأحاديث والأدلة والمعجزات فإنه لا ينفعه ذلك كما قال تعالى (وما تغني الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون)